زئبقيات من أيلول

نصيرة عقون

مقدمة

أخي القارئ :

هذه الرواية قد تفتح بابا واسعا من التساؤلات حول نوعية الطابع الذي اعتمدت عليه من حيث الشكل الفني في طريقة تجسيدها ونظرا لما يحمله الواقع المعيشي من احداث متداخلة سواء كانت فكرية او عقائدية فانه استلزم الامر ان اضع روايتي في قالب شكلي مستوحى من عدة أنماط منها تاريخية واجتماعية وسياسية يتداخل معها الجانب العاطفي بشكل من الخيال والفانتازيا الفلسفية التي تطرح نقطة الاشكال في هاته القضية وعليه فالمضمون المبتغى الوصول اليه أعمق من الوجه الظاهري للشكل...

والسلام

هكذا جاء يزحفُ بعدَ سكون غاب فيه لاحترام الوقت والأدوار ...

الواحدة بعدَ منتصفِ الليل اجتاح ذاك السُكون الهَجين صفيرٌ خافِت كفحيحِ أفعى يرتطِمُ من داخلِ جُحر تتصادمُ فيها قِطعها الكِراتِينية لتطلقَ العِنانَ لصوتِ أجراسها بأنهُ قادم ...

الواحد والعشرون من أيلول حَجَبَتْ السماء قمرها ونُجومَها وأدبرت تُعانِقُ السَوادَ المُرَصّعِ ،بغيمات شاحبة تطفو مُغردة بزخاتٍ بالكادِ تُلامسُ التُرابَ وتنطفئ ...

كانت أولُ اشراقة فيه دافئة مُمطرة ،تَعبُقُها نسمات التراب المُبلَلِ ،لِتَشُقَ هبات الريح كقطار سريع لا يقف عند محطة إلا ليغير ركابها...

لم تعد الخالة فاطمة تلك المرأة القوية الدؤوب التي كانت في حياة زوجها الراحل غدرا على أيدي بني صهيون ... فقد فقدت ذاك الرفيق والسند الذي كانت إذا مالت كان لها وتدا تستند عليه

...لم تعد تستشعر طعم الحياة بدونه ..

حتى رائحة الخبز الذي كانت تصنعه ويملأ أركان الحي هو الآخر أضحى لا أثر لطعمه ... ندبات السنين والحزن بدت واضحة على وجهها...

أمي ...

أمي...

ألا تسمعيني ..؟

قلت لك ألف مرة أن تخفضي صوت المذياع حين تكونين بمفردك

..هذا "أمجد" الابن الأكبر لخالتي فاطمة بعدما تركه أبوه هو وأخوه "عمر" وهما في سن صغيرة...

اليوم بعد مضي عشرة سنوات صار عمر صاحب الاثنا عشرة سنة يدرس في المتوسط و أمجد صار شابا أكمل العشرين سنة في أول سنة له في الجامعة ....

عمر كان يشبه أمه في لون بشرتها البيضاء المُحمرة قليلا..

أما أمجد فقد كانت كل ملامحه موروثة من أبيه ..شعره الأسود المُموج وعيونهُ الواسعة كبحر لُجي أصْبغَت عليها السماءُ لون ليلِها المُوبِقِ بِذَرات النجوم ...كالشُهُبِ تومِضُ كلما اشتد سوادُ ليلها ...امتزج فيه الأبيض والأسود ما بين بشرته ولِحيته المُكحّلةِ الخفيفة التي زادت من زينته وطوله الشامخ كجبل كلما خطى في

الأرض اهتزت تحت أقدامه مكبرة لخالقه ..وكيف لا وهو ابن ريف غزة ...

"عمر" ....." أمي" هيا ...لقد تأخرنا

الأم: لحظة فقط يا أمجد لم أجد كيس الحلوى التي حضرتها البارحة

نظرت الأم إلى عمر وهو يُطأطئُ رأسه ويبتسم ...

" آه منكَ فعلتها مرة ثانية "

عمر: وهو يبتسم خجلاً

"اعذريني يا أمي لم استطع مقاومة حلوتُكِ اللذيذة .. لم أجد نفسي الا وأنا أجهز عليها بالكامل كالعادة"

ابتسمت الأم وهي تردد:

" آه منك أيها الشّقي"

"صحتين وعافية على قلبك"

انطلقت خالتي فاطمة هي وأولادها نحو حقول الزيتون لجني ثماره بعدما استوى ...كان أهالي البلدة جميعهم هناك تتعالى صرخاتهم بين قهقهات النساء ولعب الاطفال ...رغم قساوة الحياة عليهم إلا أنك تجد علامات الرضى بادية عليهم ..تقاسيم وجوههم المستمدة من عَبَقِ أرضهم الطيبة ولون بشرتهم المُخلَلِ بلون التراب ... ترى في عيونهم بريقا وكأنهم يسترقونه من صفاء السماء كيف لا فصفاء قلوبهم ينير كل الأجواء ....

... بينما كان أمجد منهمك بتسلُقِ شَجَرِ الزيتون لقطف ثماره فجأة: بدأ رَميُهُ بحبات الزيتون ..في الوهلة الأولى ظنَ أن أخيه عمر يلاعبه

لكن... ما إن وصلَ عدد الحبات إلى سبعة استدار خلفهُ بلهفةٍ شديدة و كأنهُ يعرف الرامي "توهجت عيونهُ المُكَحَلةِ و كأنَ نورا عظيما طلّ عليه...نبضاتُ قلبهِ اخترقت سُكونها من شدة دقاتِها ..ارتسمت على وجهه ابتسامة توحي حجمَ الفرحة التي وسِعت قلبه"...

كيف جئتِ ،وبرفقة من ؟

ألم تخبرك أمك..

"أمجد":لا

هي: البارحة اتصلت أمك بوالدتي واتفقا على أن يلتقيا اليوم في حقل الزيتون وها أنا الان جئتُ مع أبي وأمي وأختي "منى وراوية"

كانت المفاجأة على أمجد شديدة كيف لا... ولقد حظرت ضَلِيعَةَ يسَارِهِ "ميساء"

...ميساء هي ابنة الحي الذي يسكن فيه أمجد وقد اتفق أهلهم على تزويجهم لبعض ما إن يكبرا قليلا ..تمت خطبتهم لبعض قبل سنة من دخولهم للجامعة سويا فهما في نفس العمر ...

..لم تكن ميساء تشبه باقي بنات البَلدَة فقد كانت مميزة بعض الشيء ..هدوءها وحشمتها زاداها جمالا....كانت تمتلك كل صفات الجمال "عيون عسلية ،و ضواحك والشعر الطويل ..كان وجهها المبتسم بريء يتخَلَلُهُ نورا رباني يبعثُ في نفسِ كلِ من يراها راحة وفرحة دون سبب ..طيبة قلبها كانت جلية في كل تعاملاتها مع غيرها ذكاءها المفرط ولسان صدقها اللذان كانا جوهر ذاتها"

.. بعد ساعات من العمل المستمر في جني الزيتون ..حان الآن وقت الغداء لترى العائلات تجتمع في جو يعكس مدى التلاحم والتآزر بينهم يفترشون الأرض ويضعون كلّ ما لذّ وطاب مما جادت به أيديهم الطيبة ...هكذا كان أمجد هو وعائلته خلف إحدى التلات يجتمعون مع عائلة ميساء ويتبادلون مادة الغداء..

هنيهات قليلة بدأت السماء تسود دون غيوم وكأنها تنذر بحدوث شيء مُهيب قادم..لحظات ... ويسمع دوي انفجارات وتصاعد دخان كثيف غطى كل الأرجاء.. سيارات الإسعاف رفعت أبواقها.. و أجراس الإنذار تَدُقُّ في كل مكان ..إنه القصف على قطاع غزة الآن.. تسارعت الأهالي في جمع حاجياتها والعودة إلى منازلهم خوفا من أن تطالهم هجومات العدو الصهيوني

إلى متى ....؟

إلى متى ...؟ سيبقى هذا المحتل اللعين يقبع عندنا

إلى متى ...؟ تبقى هذه الأرض حبيسة الاحتلال

إلى متى....؟ تبقى حياتنا بيدِ غيرنا

إلى متى ...؟ نبقى نعيش في دائرة الخوف التي لا مخرج منها

... هكذا كان أمجد يشُدُ على رأسهِ ويصرخُ بهاته الكلمات مخاطبا والدَ ميساء ..كان صدره يَعُجّ بالضغينةِ لما آلت اليه حال بلادهِ والحسرةُ تأكلُ قلبهُ لأنهُ مُرَبّطْ لا يقوى على فِعلِ شيء ...

وضعت الخالة فاطمة يدها على كتِفِهِ وقالت :بصوت منخفض ...

هدئ من روعك يا بني...فإنك لن تغيرَ شيء غير أنك تحرقُ أعصابك ...التفت لها أمجد وهو يشُدُ على يدها قائلا:

"بلى يا أمي يمكن أن نفعل ألف شيء وليسَ شيءٌ واحداٌ فقط"

صرخت الخالة فاطمة صرختاٌ رجّتْ كلَ أرجاءِ البيت ،حتى ارتبك جميعُ من كان في المنزل، وقالت:

قلت: كفى،كفى

ماذا جنى أبوكَ حين أرادَ أن يُغَيِرْ أينَ قادهُ تغييره؟

أليس أباك اليوم افترش التراب في قبره أهذا هو التغيير الذي تريده؟

خسرتُ بالأمسِ والدُكَ ...

واليوم لن أسمحَ بخسارة أحدكم ..لا أريدُ هذا التغيير الذي يسرقُ مني زوجي وأولادي نحنُ مِنْ لماَ وُلِدنا على هذه الأرض ونحن على هذا الحال فمن أنت؟ حتى تغير الوضع..

كانت كلمات خالتي فاطمة تفيض بالأسى والقهر...لم يكن فقدها لزوجها بالشيء الهيّنْ ..فرحيلهُ الباكر عليها تركها تعيشُ مرارة الفقدِ مع مزرياتِ الحياة وصِعابها ..خوفها من أن تفقدَ أحد أبناءها جعلها تُلغي كل مُبرِراتِ الوصولِ للحرية ..لم يعد يهمها ان كانت في بلدٍ محتل أو مستقلْ ..كلَ الذي أصبحَ يهمها هو أن تحافظَ على ما تبقى من أفرادِ عائلتها ..انها غريزة الأم "كلَ شيء يهون مالم يُؤذي أولادي..." ...

بعدَ بُزوغِ فجرٍ جديد.. أشرقت الشمسُ نورها لِتتخطى كل الألوان والأزمنةِ بهبائها، وترسمَ الأملَ على هيئةِ ضوءٍ منير...يَبْعَثُ منها ذاك الشُعاع الذي يُضيءُ تِلكَ القلوبُ التي استوطنها الظلام... انهُ يومُ بدايةِ الأسبوع ...كان أمجد يمشي في خطى مُتسارعة للذهابِ إلى الجامعة...فهو لم يستيقظ مُبكراً ،لأنهُ لم ينم البارحة من هول ما حدث ...

...بعد انتهاءِ الحصة الأولى قام أمجد من مكانه وأعطى ميساء ورقة ..وأخبرها بأنهُ سيغيبُ عن باقِ الحصص ..وما ان تكمل هي تلحق به في العنوان الذي دّونهُ لها "ميساء وأمجد يدرسانِ في نفس الصف وهما منخرطان في المنظمات الطلابية في الجامعة"

ما ان انهت ميساء حصتها الأخيرة ذهبت مسرعة تقصد المكان الذي

أوصى به أمجد "لقد تأخرتِ .."

-آسفة أمجد كان هناك ازدحامُ سير ، والباص أخذَ طريق مغاير

فأطال ..." حسنا ، لا عليكِ "

..كان المكان مُوحِشُ بعضَ الشيء لا وجودَ ، لأي نافذةٍ فيه

حتى المصابيح استبدلوها بقناديل تُضيءُ المكان بنور خافت..

لا تسمعُ فيه غيرَ طقطقةِ الأقدام وهي تمشي على أطرافها..

... بعد نصفِ ساعة من التَرَقُبْ دخل على أمجد وميساء رجلٌ

" أسمر طويل ،قوي البنية ..كانت ثيابهُ كلها سوداء" ... إنهُ العم

رضوان أحد المُرابطين في القدس...

-أهلا

-أهلا يا ابنتي

-يسُرُني مجيئُك اليوم قد حدَثَني أمجد عنكِ

-من اليوم أنتِ واحدةٌ منا

لم يُثِرْ حديثُهُ الدهشةَ لدى ميساء، ولم تُحِسَ بأيِ خوفٍ اتجاههُ...

..لأنها عزمت أن تكونَ يداً وقدماً واحدة فيما يسعى اليه أمجد

كيف لا ؟ " و رُوحها في روحِهِ تقيمْ"

بعد يوم شاقٍ و مُضْنِك ...عادَ كلُ من أمجد وميساء إلى بيتهما، بعدما

اتفقا على أن يبقى كلُ شيءٍ سراً بينهما....

" آه يا الهي "

ما كلُ هذه الفوضى ؟ كلُ اللومِ عليكَ يا أمجد

أنتَ من قُمتَ بإحضارهِ

ردَ أمجدُ ساخراً :

-ماذا فعلَ لكِ " سيزر " اليوم أيضاً يا أمي ؟

- ألا ترى ، ماذا فعل ؟لقد خَرَبَ كلَ الزرعِ الذي غرسته .. قلت لكَ مرارا وتكراراً أني لا أحبُ الكلاب لكِنكَ مِثْلَ أبيك " ابو راس يابس"...

..ضحك أمجد وهو يعيدُ وضعَ السلسلةِ على رأسِ كلبهِ..لا تقلقي يا أمي.. غدا سآخُذُهُ إلى بيتي الجديد.. أحضرتُ بعضَ موادِ البناء لإكماله وأخافُ أن يسرقها اللصوص ..سيتولى "سيزر" أمرَ الحراسة وهكذا ترتاحي منه ومن شغبهِ...

أفاقت الخالة فاطمة كعادتها مع آذان الفجر لتؤدي فرضها...كان صوتُ دُعائِها يتعالى من على سجادتها ...شهقاتها المتَقطِعَة توحي

بكمية الوجع الذي يعصرُ قلبها.. فاليومُ هو ذِكرى وفاةِ زوجها الغالي...رغمَ مُضِي سنواتٍ عدة ،الا أنها ظّلَتْ وفيةٌ لِذِكراه ..

- ألن تذهبِ معنا يا أمي ؟

- الأم: لا ، يا بني عندي بعض الأشغال عليّ أن أن أُتِمَها ...وفي المساء عليا تحضير طاولة العشاء لضيوفي.... لا تنسى أن تحضرَ معك ميساء، في طريق عودتك حتى تساعدني في الطبخ ...

-حسنا ، يا أمي

-" عمر أيها الشقي ألن تمُدَ لي يدَ العون؟"

عذرا يا أخي فطائرتي ستقلعُ بعد قليل " ابتسم أمجد وهو يُلوِحُ له بيده ...آه منك أيها الشقي "..احزموا أمتِعَتكم.. سنقلعُ بعد قليل " هكذا كان عمر يلاعبُ منى وراوية شقيقتا ميساء...

ربما كان حُلُمُهُ الصغير أن يصبح، طيار ليحلق في سماء غزة ، ويكسر عنها الخناق.. لكن.. حتى أحلامهم البريئة سقطت في بئرِ يوسف

بعد ساعات طوال من العمل المجهد.. اتكأَ أمجد ليأخذَ أنفاسه قليلا.. كان وجهه يتصببُ عرقاً والتعب، بادي عليه ...أخرج رأسه من النافذة التي تطلُ، على حديقة منزله .. ليرى ميساء وهي تعمل ..كملكة نحل لا تسمعُ لها صوت ..غير عَبَقِ رحيقِها الذي تتركه خلفها ...فالزرعُ والنبات وشجيرات الرمان.. كاللؤلؤ والمرجان تكسوان أرجاء الحديقة.....قَلَبَتْ ميساء راحتَيها ، ومسحت

المكان بنظراتها المشرقة..ثم قالت :

" كيف حال ضِلعِكَ الأعوجُ ،يا أمجد "

حملقَ قائلاً : " هو سائر على خطى حبكِ ، حتى يستقيم "

ابتسمت ميساء بخجل ،وهي تقطف حبات الرمان ..بعدما نضجت ..فكلمات أمجد تساقطت عليها كقطرات الندى لتثلج ..ربيع قلبها من جديد ...

آخر أيام الاسبوع ..كان يوم حافلا في الجامعة ... خرج فيه آلاف الطلاب في مظاهرات سلمية ..ضد الكيان الصهيوني من أجل وقف الجنون والعربدة الاسرائيلية ،التي طغت بجرائمها ضد الشعب الفلسطيني ...

أمجد وميساء كانا من بين المتظاهرين ..يحملون لافتات بشعارات تندد ..بالانتهاكات و أعمال القتل التي ترتكبها اسرائيل ضد المدنيين الفلسطينيين ...المظاهرات تخللتها صدمات مع الجنود الإسرائيليين ...أفضت إلى اعتقال مجموعة من الطلبة ، من بينهم أمجد وميساء...

في معادلة بينية قد تتشابه حياة الإنسان ، بقانون سريان الكون ... فهذا الكون لا يمكن أن يكون مستقرا ...بأي حال من

الأحوال...قد يوحي مشهدَ تلون أوراق الشجر ، وتعري كل أغصانها ، إلى نهاية تنبؤ ، أن الأرضَ تسير نحو الخواء والنهايات..

ولكن الحقيقة أن تلك النهاية ماهي إلا بداية لحلقة أكثرَ عطاءِ ...

ففصل الخريف ،هو فصل النهايات والبدايات معا ..

بقدومهِ يعلنُ عن بداية التحدي.. فتلك الأوراق الذابلة المتساقطة ، ما نزلت من موضعها إلا لتفسحَ المجال أمامَ وُرَيقاتٍ جديدة ...

مرت الأربعَ سنوات بعدما دونت على كل ذاكرة شيءُ من السوادِ الملطخِ بحبرها الأسود .... الخالة فاطمة اليوم في سباقٍ مع الزمن فلم يتبق على زفافِ ابنها أمجد سوى أيامٍ معدودات..

" أين أنت يا أمجد "

حضّر نفسك علينا الخروجُ للتسوق ، ينقصُنا الكثير من مستلزمات العرس..

ردّ أمجد: بعينين مغمضتين من تحتِ غطاءِ سريره " اذهب بمفردكِ يا أمي..أو خذي عمر معك"

" أنا عليا أن أكملَ تحضير ، مذكرة تخرجي اليوم ، لأني سأقدمها أنا وميساء بعد يومين " ...

في مشهدٍ يرسُمُ أجواء الفرحةِ ، وسطَ حضورِ كلَ من عائلتي أمجد وميساء ..كاناَ هذينِ الأخير بمثابةِ التوأم ، بلباس التخرج الموحد..

كيف لا ، وهما وليداَ أمٍ واحدة " الأرض الطيبة الطّاهرة ، التي جمعت بينَ روحين تجانساَ ، كَمَرَجِ البحرين حين يلتقيان..

فالأرواحُ جنودُ مُجَنّدة ، لا تلتقي إلا بمن يُشبِهها ...

..حلّتْ الزغاريد وتعالت الأهازيج ، و هَلْهَلَتْ النساء ، وصفقتْ الرجال و قُرِعت الطبول ،و تَغَنّتْ الدفوف ..لتستقبلَ تلكَ الفرحة الهاربةِ من أسوارِ سَجّانها.. تلك الإرادة الحية ، التي دفعتِ مِقودِ الحياة إلى الأمام.. التي تُظهِرُ تَجَلي روحَ الصمودِ والتحدي ، التي فرضها العدو الصهيوني ، ليَختزِلَ كل معالمِ الحياة ضدَ شعبٍ أعزل

.. اليومَ تحققَ ذاكَ الحلم ذاكَ القَدَرُ المنتظَر.. " ليجمعَ بين روحَين ، مُتَحابة ..التقتْ ، واتفقتْ وانساقتْ لِبعضِها البعض كما ، تُساقُ الأرزاق "

كانت الخالة فاطمة في أبهى حُلتِها ، وهي ترتدي اللباسَ الحر الفلسطيني.. لتواصِلَ اتباع التُراث الذي يقاومُ، هو الآخر كلَ تغيير... وتأكيداً للهويةِ الفلسطينية ، في محاولة عدم طمسها واندثارها .... ليرتفِعَ صَدى النساء في بيتها ، بينَ رَقصِهُنّ ، على وقعِ نقرِ الطِبلةِ ،و أغانيهُنّ المتوارثة ....

..في هذه الأثناء كان أمجد يستعِدُ ، لجلبِ عروستهُ من بيتِ أهلها، في موكبِ هازِجْ ، حاشدْ يخترِقُ أحياءِ القرية ..كان أمجد كالفارس وهو يمتطي صهوة جوادِهِ الأصيل.. والفرحة تغزو معالِمَ وجهِهِ ،

كالرسمةِ الهاربةِ من لوحةِ فنان وهو يرى عروستهُ بالفستانِ الأبيض ، كملاكٍ حطّ فوقَ الأرض لينيرَ أرجاءها ....

مدّ أمجد يدهُ ليأخُذَ أميرتهُ ميساء إلى قصرِهُنّ الصغير ، لكن ،... آلةَ الموتِ والتدمير ، كانت سَباقَةٌ لأن تَخطِفَ ، " روحَ ميساء البريئة "

..في لحظة غدرٍ تساقطت حِمم القذائف الصاروخية الإسرائيلية ، لتَقلُبَ أجواء الفرح إلى قرح ، وتصيبَ عشرات الأفراد بين جرحى وقتلى... ..لم يَكتُب القدرَ لميساء أن تكونَ عروساٌ في الدنيا ، فأرادَ الله لها أن تكونَ ، كذلكَ في الجنة .. وقبلها رحلَ أحمد من دونِ أن يرتدي بدلةَ الزفاف... وذهبت صفاء دون أن ترتدي ملابسَ العيد،

ورافقهما مازن شهيدا رضيعاٌ ..هكذا كان الاحتلال الإسرائيلي يُمعِنُ في قتلِ ، كلَ ما يفرحُ الفلسطيني ، الذي لم يكن لهُ ذنب سوى أنّهُ ابن بيتِ المقدس ...

تلبدت السماء بالغيوم و امتلأت ... وتحرك سُكونُ المكانِ والشمسُ ذهبتْ خلفَ الغيوم ... هناكَ توارت لِتُودِعَ هي الأخرى رحيلَ ميساء ،و انتقالها إلى مثواها الأخير ....

كانَ أمجدُ يقفُ على قبرِ ميساء كحمامةٍ تَنوحُ بِدمعٍ سِحابْ ، كطِفلٍ شاحبٍ غريب ..مُبللِ الخَدَينْ والرِداء ، كسائلٍ حيرانْ ..ترَصدتهُ عصاباتُ قطاع الطرقِ لتوقِفَ قوافِلَ أحلامهِ وتُشَرِدَ أُسطورةَ قَلبينْ ، تعاهدا على إكمال الطريقِ سويا، والبقاءِ معاً لآخرِ العمر....

لم يَخطُرْ بِبالِهِ ، أن اللقاءَ لن يدوم ..و أنَ القضاءَ والقدر هما ، سَيِداَ الموقف .. وأنَهُ ،ليسَ بيدِهم حيلةً أمامَ تصاريفِ القدرِ وتقلباتِهِ ... عادَ أمجد إلى بيتهِ الذي شيّدهُ مع فقيدتِهِ ميساء عادَ ،ولكن جَسَدُ بلا روح فقد قطعوا حبلَهُ السَّرِي ، و أخذو توأمَ روحِهِ منهُ، وجَعلوا منهُ جُثَةُ على قيدِ الحياة ،تتَنَفَسْ ألمَ الفِراق ....

فقد غابتْ شمسُ سمائِهِ ، وأصبحَ الكونُ كلهُ ظلامُ دامِسْ ،اختفتْ منهُ كلَ الألوان ...لم يعدْ يسمعُ سِوى صدى ، صوتِها يَرِنُ في كلِ مكان وصورَةُ وجههاَ المشرِقِ ، كقمرٍ بِنورِهِ ، شّقَ سوادُ الظلام .. و نظراتُ عينَيها ،كبُحيرَةٍ جّفَتْ عندَ الوداع ...

ارتَجَفَتْ يَدِيّ خالتي فاطمة ، وتَوَسَدَتْ ذِراعيها لِتَظُمَ ابنها المقهورِ، و تُضَمِدَ جُرحَهُ بِجرحِها ...فَكلاهما ،بِنَفسِ الداءِ ينزفونَ ألماً على فراقِ أحبتِهم ...

لم تَخُنها فقط الكلمات ، بل حتى الصَمتُ عَجِزَ عن الكلام ، وهي ترى في عيونِ ولدِها لَهيبَ شمسٍ ،يتبخرُ من داخِلِ قلبهِ الموجوعْ ... يَفيضُ بِدَمعٍ يُطفيءُ لهيبَ الذِكريات ...لم يكن الأمرُ سهلا عليه، ففي لحظةِ غدرٍ، أُجهِضَتْ كلَ أحلامِهِ وَ وُإِدَ نِصفُهُ الثاني ، من غيرِ ذنب ...

بينَ مَدٍ و جزرْ ،هكذا هي الحياة كأمواجٍ هائجة ،لا تقفُ عندَ أيِ شاطيء ، إلاّ لِتَستَرسِلَ من جديد ...

مَرّتْ الأيام والأشهر ،و السنوات لِيُكمِلَ قِطارَ العمرِ ، ما تبقى

من محطات ...

-دائماً نفسُ المشكِلِ معكِ ...تأتينَ متأخرة كعادتَكِ ...و تقولينَ ، -

آسِفَة أستاذ ...

- هي مجرد ،سبعُ دقائق

- في المرةِ القادمة ،سيكونُ لي موقفْ مغايِر معكِ

" هذا أمجد أصبحَ أستاذ بإحدى، الجامعات بقطاعِ غزة "

... تَغَيرتْ شخصيتُهُ كثيراً ،بعدَ سنِ الأربعين ... لم يعد يهتمُ بالعلاقات الاجتماعية أكثر ، أصبحَ يميلُ للعزلةِ والصمت واختفى ذاكَ البريقُ الذي كان يشّعُ في عينيهِ ، وغزى الشيب شعرهُ الأسود المُمَوَجْ ، صارَ أكثرَ جدية وصرامة ...

نادى أمجد على الطالبةِ ، التي جاءت مُتأخرة سائلا إياها، عن اسمها لِيُدَوِنَهُ في قائمة الحضور، ما اسمك أيتها الطالبة المتأخرة ، بسبعِ دقائق دائماً ...

" اسمي : أيلول أيلول ، سيدي "

رفعَ أمجد رأسَهُ قليلا ، وهو يرمُقُها بنظراتٍ مُبهمة ...

ثمَ قال : حسناً هذهِ آخرُ مرةٍ لكِ .. في المرةِ القادمة ، لن يفتحَ لكِ الباب إن لم تأتِ في الموعد

" أيها الطلاب "

انتهى درسُ اليوم، نلتقي الأسبوع القادم ، سيكونُ خِصيصاٌ لمراجعة الاختبارات المقبلة ، حضِّروا أنفسكم جيدا طلبتي الأعزاء ...

إلى الملتقى ...

" مم يا للروعة ، كم هي لذيذة هذه الحلوى ... من أحضرها لكِ أمي ؟ "

ردت الخالة فاطمة على أمجد:

" صنعتها زوجةُ أخيك عمر، وهي في طريقِها ذهابا إلى مدرسة ابنها، جلبتها معها "

.. تساقطت قطعة الحلوى من يَدَيّ أمجد ، وكأنّ ريحَ الحنين زارتهُ فجأة لِيَتَذَكَرَ ميساء، وتمرُ عليهِ قافلةٌ من الأحزان تعيدُ شريطَ الذِكريات من جديد ...

ودّعتْ الأرضُ فصلَ الشتاء، لترتدي ثوبها الجديد المُطَرّزِ ، المنعشْ المُخضَرّ اليانِعِ في عزّ توهُجِهِ ...إنَهُ فصلُ النشاطِ والحيويةِ ...فصلُ

الربيعِ ، الذي يشحنُ المخلوقات بالطاقةِ الايجابية ...كانَ الطلبة كخليةِ نحلٍ، وهم نشطينَ أكثرَ في بدايةِ أوَلِ الأسبوع ...

الجميعُ أكثرَ تركيزاً وانتباها ، لم يتبق الكثير ...تفصلُهم أياماً معدوداتٍ ، على امتحانات الفصل الأول...

قبلَ أن يُكملَ أمجدُ حصّتَهُ ..سألَ طلبتهُ عن أيِ استفسار ؟

تقدمت الطالبةُ أيلول إلى مكتبهِ وهي تشيرُ بإبهامها نحوى ،عنوان لموضوع في كتاب ثم قالت بصوتٍ منخفضْ :

"أعتذرُ منكَ أستاذ أمجد ، لكني وجدتُ الجزء السابع من هذا الموضوعِ مفقود ، هل لكَ أن تعطيني نسخة ، أخرى منه "

" اهتزت يدا أمجد قليلا ،واحتبست فيهِ الأنفاس ، و تَلَعثَمَ لسانه و كأنّ شيئا غريبٌ يجثِمُ على صدره"

لا...آآ... نعم ...أقصد :

استعيري من زميلتك و أعملي منه نسخة .. لم يجد أمجد نفسهُ ، الاّ وهو يحمل حقيبتهُ ويخرجُ مسرعاٌ من الصف ...

كانت خطواتهُ تعلو ،على وقعِ ضربات قلبهِ المُعلِنِ ،لحالة استنفار قوية من مجهول ...

بسرعةِ البرق ، قادتهُ رِجلاهُ حيثُ بيتِهِ الصغير، هناك حيثُ أطلقَ العنانَ لِضُعفِهِ و نزعَ السياجَ لما يختَلِجُ به صدره ، وانطلقت شرارةٌ من القلبِ ، أعادتهُ لِسيرتهِ الأولى ...

للحظاتِ الحنين ، الشوق و ألمِ الفراق ...كانَ صوتهُ الباكي ، يئنُ وهو ينادي باسم راحِلَتِهِ " ميساء " ..لِيُخبرها كم أنّ الحياةَ بدونِها غُربةٌ ،و كم أنها كانت ذاكَ السَكَنْ لروحِهِ التائهة ...

في غرفَتِها المظلمة ، كانت الخالة فاطمة كعادتها مُشَغِلَةً مِذياعِها وهي تستمع لآخرِ الأخبار ..."اشتباك مسلح في القدس ،ومقتل جنديين إسرائيليين ، و إصابة أكثر من عشرة، أحدهما في حالة، خطيرة "...

دخل أمجد لِغرفةِ أمّهِ العجوز ، و الوَهَنُ بادٍ عليه ... اقتربَ منها في هدوء ، وجلسَ على مقعدٍ قَبالَتَها ، و أردفَ قائلاً:

" كلُ من أحببناهم رحلوا ، عن هذه الحياة يا أمي رحلوا ... لأنَ الجنّةَ تُشبهُهُم"

ردت الخالة فاطمة على ابنها، وهي تمسحُ على جبينِهِ بيديها المثقلتين :

" لا تحزن يا ولدي، غدا نلقاهم في الجنة ، وينتهي شوقنا لهم" ...

بعدما اجتاز الطلبة فترة الامتحانات بينَ ضغطها ،والدفعِ بقوّةٍ نحوى رغبةِ النجاح اليوم عادوا إلى مقاعد الدراسة ، ليكملوا المسارَ

على طاولةِ احدى المقاهي بالجامعة، كان أمجد يرتشفُ فنجانَ قهوتهِ ويتصفَح جريدتَهُ ليرصدَ آخر الأخبار ...

فجأة ، سمعَ صوت يناديه عن قرب ... " أستاذ أمجد، ممكن لحظة"

رفعَ رأسَهُ ليجِدَ الطالبة أيلول أمامه " اكفَهَرّ وجهُهُ وهو يحرك رأسَهُ يُمنَةً و يُسرة ،ثمَ لوّحَ لها بجريدتِهِ قائلا:

تفضلي ماذا هناك ؟

ردت :لا شيء فقط أردتُ أن أهَنِئَكَ ،بعيدِ مولدكَ ،بما أن اليوم هو السابعُ من آذار ...

صمت أمجد لبرهة، و بدا على وجههِ التفكير والحيرة .. ثم صاحَ في انفعال : " أنتِ ،من تكونينِ يا أنتِ "

نظرت إلى وجههِ المُكتَنِزِ ، و شرارة الغضبِ تتطاير من عينيهِ ثم أشارت إلى يسارِ صدرها وقالت :

" أنا أنتَ يا أنا "

دارَ رأسُ أمجد، ولَمَعَتْ في عينَيهِ دَمعَتان ،ارتجفَ جسدهُ ...وعادت به كبسولة الذاكرة الى الوراء "اليوم هو السابع من آذار ، هو عيدُ مولدِكَ يا أمجد، وبعدَ سبعة أشهر من السابعِ، من أيلول هو عيدُ مولدي أنا "...

و بينَ سبعٍ و سبع ،وُلِدَ " توأمُ روحي" فمن أكون أنا يا أمجد " أنتِ أنا يا أنا " ...

لوهلةٍ ،تشَوَشَ فكرُ أمجد وهو ، يعيدُ شريطَ الأحداث ، و يسترجع تفاصيلَ مجرِياتِ حديثِهِ مع الراحلة ميساء ... لَبُسَ عليهِ الأمر واختلط وهو يصارعُ حَبَكاتِ ، أفكاره ..للحظة ، ظنّ أنّه قد جنّ من كثرةِ الخبطِ الذي وقعَ فيه.....

..ابتلعَ ريقهُ ،وقد تصببَ عرقاً وتمتمَ قائلا بينه وبين نفسهِ:

ما كلُ هذا التطابق ؟ كيف لها أن تعرف يوم مولدي ؟ ثم كيف تعرف بسّرِ حديثي مع ميساء؟ يا الاهي ارحمني ،سأُجنُ حقاً

..استجمعَ قواهُ قليلا ،استدار نحوها ثانية ، ثمَ قهقهَ في توتر، وزمجرَ باستهزاء قائلاً :

الأكيد أنكِ نسخةٌ من روحِ ميساء؟ و الا فكيفَ تعلمينَ بكلِ هذا ؟

ردت أيلول بكلِ ثقةِ قائلة :

نعم

" أنا العائدة ميساء ، في ولادَةٍ ثانية "

شَمِلها أمجد بنظرة مستغربا وهو يكظِمُ انفعالهُ ،ثمَ قال :

ولادة ثانية ؟ كيف ذلك ؟ماذا تقصدين ؟...

بدا الاهتمام على وجهِ أيلول، وهي تُحملِقُ فيهِ بنظراتٍ شارِدة ،و دُموعَها توشِكُ أن تنفرط ...ثمَ قالت :

سأنصَرِفْ الآن ...وستتواصَل معكَ روحي ، لِتُجيبَكَ عن كلِ تساؤُل ..

هزّ أمجد رأسهُ مستغرباً : " ما هذا الجنون "

تمتمَ خافضا رأسهُ : " أكيد أنها هربت من احدى المصحاتِ العقلية و إلا ما هذا الهراء الذي تنطق به "

حملَ حقيبته متعثراً بخطاهُ الشاردة ، عائدا إلى بيتهِ والحيرة والتفكير ، تسيطران على عقله ...

بعد منتصفِ الليل ، بعدما توقفَ عَبَثْ النهار وأسدلَ الليل عباءته الناعمة ، لِيَحتَفِلَ بذاكَ السُكون الأسود ... كان أمجد يَلُفُ رأسَهُ بمنديله ، لعلّهُ يُسكِتُ ذاكَ الضجيج الذي يَعُجّ برأسِهِ...

... تَقدمَ إلى النافذة ،وفتحها ثم رفع رأسَهُ إلى السماءِ في تأمل ، و أردفَ قائلاً :

" لقد كانت تُشبِهُك ، كانَ وجهها وَضّاءاً مثلكَ ، أيها القمر "

"كانت ذاكَ الوطن ، الذي وُلدتُ فيه "

" وتِلكَ الروح التي أقيمُ فيها"...

..امتلأت عيون أمجد بالدموع ، كموجٍ تناثرَ وتتطايرَ من زحمةِ فوضى الحواسْ ..لم يجد تفسيرا لذاكَ اللُغز الذي تَشَابَكَ بينَ عقلهِ وروحِهِ ،

فكلاهما في نزاعٍ قائمٍ بينَ الرفضِ، و احتماليةِ الحقيقة التي تتوارى خلفَ المنطق ...

...كلَ شيءْ غيرَ قابل للتَصديق ، غير ذاكَ الشعور الذي ينبعث من أعماقِ روحِهِ، ذاكَ الصوت الذي بداخِلِهِ ، كلما غَفَى أرادَ التواصُلَ معهُ ،لِتُرشِدَهُ بوصَلَتهُ المزروعة فِطرةً بِقلبِهِ ، بوجوبِ الأخذِ بحديثِ قلبِهِ ،لأنَ بهِ مسحَةً ملائكية ، تُومِضُ بصيصَ النور في روحِهِ ....

... مع أذان الفجر ، كان أمجد لا يزالُ مُستيقظ ، بعدما اعتلاهُ التفكير و الأرق ..." حملَ سجادتهُ وذهبَ إلى غرفةِ أمهِ ، صلى بجوارِها ثمَ وضعَ رأسهُ بِكَتِفِها ،أهدَبَ عيونَهُ المُتعَبة، وقال سائلا إياها :

" أمي ..." هل يمكن للأموات أن يعودوا ؟ "

.. .نظرت اليهِ الخالة فاطمة ، وابتسمت في رضى وهي تقول :

" أكيد يا ولدي ...فروحَهم الطيبة ، كلما استوحشناها ...حلّتْ علينا " ...

.. حملقَ أمجد مذهولا بعيون أمهِ ، ثمَ هتفَ مُستغرباً :

" إذا ممكن أن تستوطِنَ أرواحهم جسداً آخر ؟ "

.. تنهدت الخالة فاطمة في حسرة ، ثمَ قالت بكلماتٍ متقطعة :

" عدْ إلى غرفتك ، ونم قليلا ، ولا تشغل بالك بهذهِ الأمور "

في الصباحِ الباكر ، كانَ أمجد كعادتِهِ يرتشِفُ فنجانَ قهوتِهِ ، بِمقهى الجامعة مُمسكاً صحيفتهُ ويُطالِعُ آخرَ عناوينِها بصوتٍ منخفضٍ :

" اشتباك بين الفدائيين ودورية إسرائيلية ، في رفح "

" انفجار كبير في القدس "

.. وبينما هو منهمك بالغوصِ في قراءة جريدتِهِ اقتربت منهُ فتاة ترتدي زيا مُحتشماً ،على رأسها شال ،غطى كلَ وجهِهاَ لا يظهرُ منها غيرَ عيونِها البارقة ...

هتفت باسمه بصوتٍ عال :

أوجستْ في نفسهِ خيفةً ، وسادَ وجهَهُ ...شُحوبٌ ظاهرْ..

وثَبَ من مكانِهِ مضطرباً .. وصاح في انفعال:

" هذا أنتِ مرةً ثانية ؟ "

ردت عليه :

آسفة لأني أزعجتك ...

لكن ، كانَ لابُدَ عليّ أن أقابِلَك ...

" سَنّ أمجد على أسنانه ، واعتراهُ غضبٌ شديد ، ثمَ أخذَ يستنشق

الهواءَ بهدوء ليخفف من روعةِ نفسه قليلاً "

.. ثمَ قامَ من مكانِهِ ، وبدا واضحا هذه المرة أنَ لديهِ رغبةً في التعرفِ على الحقيقة ، واكتشافِ قضية هذهِ الفتاة الغامضة ...

.. عاوَدَ الجلوس على طاوِلتِهِ ، ودعاها بالانضمام إليه ، ثمَ قالَ بهدوء : " تفضلي آنسة أيلول " ...أنا في الاستماع

" أخرجي كلّ ما في جعبَتِكِ، وامنحيني تفسيرا منطقي لكلِ كلامك، حتى لا أعاود طرح الأسئلة عليكِ "

قالت باسمةً :

أولاً : خذ نفساً عميقا واسترخي...

ثمَ استطردتْ قائلة :

على أيّ حال ليسَ لديّ ما أخافُ من اعلانِه ،والبَوحِ بهِ ، بل على نقيضِ ما تتصور ، أريدُ منكَ فقط ، أن تسمعني بقلبكَ حتى يتسنى لروحك التواصل معي والتصديقُ بي فجريمةُ الشّكِ في قانوني ، لا تغتفر ...

.. شَملها أمجد هذه المرة ، بنظرةٍ توحي بظهورِ بوادرِ الأمان وهي تلوحُ من بعيد ، ثمَ قال :

" أكملي ... كلّ أنا ...جسداً وروحاً ...في الاستماع "

.... أزاحت ذاك اللثام عليها ، وظهرَ وجهُها الباسمِ الوضّاحِ ، ثمَ أخرجت منديلا لونهُ أخضر مزركش بهي، من حقيبتِها ،ولوّحت به بيدها وقالت :

" هل تتذكرُ هذا المنديل ،الذي اشتريتَ شبيَهَهُ لميساء وضاع منها ؟

، وحزّ في نفسها فقدانهُ ، لأنهُ كان هديةً منك "

قامَ أمجد من مكانِهِ ، ونظراتُ الاستغراب توقدُ في وجههِ ..

وصاحَ بتوتر :

" لكن كيفَ لكِ عِلمُ بذلك ؟ "

ردت قائلة :

دعني أُكمِلْ ، والتزم الصمتَ والهدوء حتى أُنهي من فضلك...

عَاوَدَ أمجد الجلوس، والحيرةُ تتعَجّجُ من عيونِهِ ... ثمَ أردفت قائلة :

" في الحقيقة المطلقة ، لا يمكنُ لشخص توفيَ أن يعود للحياة .. لكن

، هناكَ حالات خاصة استثنائية تخالفُ قانونَ البشر السُفلي ، لترتقي

إلى احداثيات أخرى هي من تصاريفِ الخالق ، التي تدخل حَيّزَ الإعجاز لحكمةٍ ما ،لا يُبصِرُها بني البشر ...

... هناكَ أرواحُ بريئة ، تُسلبُ منها الحياة غدراً ، و بأساليبَ وحشيةٍ تُلغي فيها كلَ معالمَ الرحمة والإنسانية ، تجعلُ من تلكَ الروح المغدورةِ ،تحومُ في سماءِ قاتِلها ، لتولِجَ من جديد في جسدٍ آخر، لأجلِ اقتصاص حقّها المسلوبِ ، و رداً على من فتِكَ بها في صورة ، البعث الجديد ... "

هكذا ميساء فُعِلَ بها ، وهكذا جئتُ أنا كولادة ثانيةٍ لها ...

" أعلمُ أنّكَ ستقولُ ، ما كلّ هذا التناقض" كيف لابنة خرجت من صُلبِ اسرائيل، أن تكونَ حاضنةً لروحِ ميساء البريئة ؟ "

سأجيبُكَ حتى أنهي كلّ الظنونِ، والشكوكِ لديك ...

ألم أقل أنّ لخالق الكونِ ، حكمة غير مرئية لا يُبصِرُها بني البشر ..

" هذا أنا ، وُلدتُ من رَحِمِ القاتل ليدفعَ فاتورة قِصاصهِ من مخزونِ جيبهِ .." ...حقيقةً أنّ أصولي اسرائيلية ، ووالديّ من بني صهيون ،لكني وُلِدتُ بالفطرة على الدينِ الإسلامي ،منذُ صِغري و أنا أستشعرُ عقيدة الألوهية ، لربٍ واحدٍ أحد لا شريكَ لهُ ...و ما إن نَضَجْتُ قليلا ،دخلتُ للإسلامِ خلسةً على أهلي ،و أعيشُ وسطهم مجرّدَ كيانٍ خالٍ من أيّ فكرٍ يتبعُهم، أو فِعلٍ يُؤَيّدُهم ...

" ... لم أُحِسَ بانتمائي يوما لهم، كنتُ كالغريبة المُطوَقةِ بأسوارِ قباحةِ أفعالهم ، أستنكِرهم و أتنكرُ لهم لكن ، لم أكن أبدي شيء حتى لا يُفتَضَحَ أمري ".... ستتساءَلُ عن هدفي ؟ وماهي قضيتي ؟

و ماذا كنتُ أفعل كلّ هذه المدة بينهم ؟...

لا بأس ، سأجيبُكَ باختصار :

أولاً :

قضيتي ، هي قضيتكَ وقضية كلَ فلسطيني على وجهِ هذه الأرض الطيبة ...هدفي هو السعيُ في تحريرِ هذا البلد المُحتل من هذا الكيان الغاشم وتحرير الروح التي اغتيلت غدراً من سجن قاتلها ...

... أما ماذا كنتُ أفعل في كلِ هذه الفترة فجوابي ،هو أنّي أعمل كفدائية خفية تمدّ المقاومة ، بمعلومات جد حساسة تساعدهم على قمعِ وكسرِ كلَ تخطيط قبلَ أن يولدَ و أنا الآن ، ما زلتُ على هذا العهدِ حتى أبلُغَ الهدف ... "

... بدا الارتياح على وجهِ أمجد ،وهو يستمع إليها في يقظة ...

فقُوةُ حديثِها و براءةُ كلماتها ، أضفت الكثيرَ على يقينها التام ،الخالِ من أي شك ... وكان واضحا عليه ، أَّنّ لديهِ رغبةً دائمة في التعرفِ أكثر على تفاصيل القضية ، ومحاولةِ اكتشاف منها ، كلَ الخبايا التي في ثناياها، فالأمرُ عندهُ أبلغُ من الخيال ...

قال أمجد بهدوء وثقة : " حسنا..." سأنصرف الآن "

كما نوّهْتِ لي سابقا ...

اسأل روحك تعطيك كل جواب...سأستشيرُها في الأمر... أطال النظرَ في وجهها ، ثمَ مسحَ على جبينهِ وشعرهِ بلطفِ ، ومضى في طريقهِ مسرعاً...

.. بعدما سمعَ العم رُضوان حديثَ أمجد وقصتَهُ الكاملة مع أيلول

.. أخذَ يُفَرقِع أصابِعَهُ متوتراً ،و يُحرك رأسهُ يُمنةً ويُسرة ، من فرطِ العصبية ثمَ قال :

" ان كانت صادقة ،فهي مَصل مُضاد ، لفيروس الصهاينة "

" أما ان كانت كاذبة ،فالأكيد أنها جاسوسة محترفة "

على كلِ حال ، أفعالها هي من ستفصل في القضية ...

... لم تكن عودة أيلول بروحِ ميساء ،في ولادة ثانية فقط ....

بل ، وُلِدَتْ معها روحُ المقاومة من جديد ، وبعثت حياةً أخرى ، أيقظت ثورةَ الحجارة من سُباتها الطريد ...و استطاعت اشعالَ انتفاضة ، أوقدت شرارتها ، لِتُشعلَ الأرض لهيباً تحتَ أقدامِ المحتلين الصهاينة...

كانت تكسرُ كلَ التخطيطات المدبرة، من الجهاز القيادي الصهيوني ، باعتبارها ابنةَ أحدَ رجال المخابرات الاسرائيلية فقد كانت تَمُدّ المقاومة ، بمعلوماتٍ عن كلِ تحركاتهم ....بدهائها وفطنتها ، أجهضت الكثيرَ من جرائم القتل الغامضة ، المستهدفة من قِبَلِ جيشِ الدفاع الإسرائيلي "

... بعد مدة من الزمن ، بدأت تتلاشى القوة الإسرائيلية الضاربة في فلسطين، و أعلنت الأنظمة ، هزيمتها وصعود المقاومة بتغييرات جذرية ، على خريطة المنطقة السياسية ،.. أثبتت خلالها القدرة على السيطرة والتحكم في الوضع ...

... بعدَ تسارع كلَ هذهِ الأحداث ،والضربِ الحاد على رأس الأفعى انسحبت اسرائيل من جحرها بالكامل من أراضي غزة بأوامر من رئيسِ الوزراء الاسرائيلي ...ومنه أثبتت أيلول أنّ لكلِ شيءٍ حياةٌ ثانية ، تولدُ من جديد " مهما أقيمت الجدلية في حقيقة ،عودة الروح بعد الموت ،فلا شيءَ ثابت بالنفي أو التصديق ،يبقى المُعتقد خاص بالإذنِ الرّباني ،فهو من يتولى كلَ الأمور "

كان أمجد برفقةِ أيلول والعم رضوان ،من بينِ المحتفلين بانسحاب اسرائيل من قطاع غزة ، وسطَ فرحةٍ عارمةٍ ، رافِعينَ بعضَ الأعلام الفلسطينية ،على نقاطِ مواقعِ المستوطنات السابقة ..

.. لم يجد أمجد نفسه ، إلا وهو يسجُدُ مُطولاً على الأرض الطاهرة الطيبة ..كانت عيونُهُ تَشِعّ بريقاً ، وهو يبلل جبينهُ بالتراب ،بعدَ نشوةِ الانتصار ،وعودة توأمِ روحهِ من جديد ....

فتحَ أمجد عينيهِ المثقلتين ، وبدت الحيرة في حركاتِ نظراتِهِ الضبابية ..ليسمعَ صوتاً خلفهُ يناديه :

" نِمتَ طويلاً أيّها البطل... الحمد لله على سلامتك "

" كانت رصاصة قاتلة ، لكنكَ أقوى منها " ...

رفعَ رأسهُ قليلاً ،ليجدَ أحد الممرضات بلباسها الأبيض بجانبه ،وهي تُركِبُ أنبوبا في وريدِهِ ... حاولَ النهوضَ بسرعةٍ ،لكن جسدهُ الطريح خانهُ شمِلَها بنظرة مستغرب ، ثمَ صاحَ في وجهها بانفعال :

أين أيلول ؟...و ماذا أفعل أنا هنا ؟

ردت عليهِ باسمة : " لا داعي للقلق سيدي "

" أنتَ أصيبتَ برصاصة طائشة في قصف عشوائي اسرائيلي "

" ودخلتَ في غيبوبة طويلة ، بعضَ الشيء لكّنَكَ أفقت الآن ، ورجعت الى الحياة "

أما سؤالك عن أيلول ، فلم أر أيّ فتاةٍ حضرت بهذا الاسم فقط أمّكَ العجوز وأحدُ إخوَتكَ ،

من كانوا يزورونك ، أثناءَ غيبوبتكَ...التفتَ أمجد نحو النافذة ،وهو يرمَقُ أحدَ الأشجار وهي تسقطُ منها آخرَ ورقةٍ من غصنها ...

احتقنَ وجههُ وتغيرتْ سَحنتَهُ ، و أشارَ بيدهِ نحو النافذة ، ثمَ قال في أسى :

-في أيّ شهر نحن ، يا آنسة ؟

-ردت عليه الممرضة :

-شهر " أيلول " سيدي

-نحنُ في أواخرِ شهر أيلول

-نظر اليها معاتبا بصمت ،في نظرة تحملُ العديدَ من المعاني ثم تمتمَ بصوتٍ منخفض :

" حتى وان كانَ حُلماً ، فقد وهبتِ لروحي سكناً وبعثاً جديدا "